التأويل في القرآن:

قال تعالى(ولقد جئناهُم بكتاب فصلناهُ على علمٍ هدى ورحمة لقوم يؤمنون هل ينظرونَ إلّا تأويله يوم ياتي تأويلهُ يقول الذين نسوه من قبل قد جاءت رُسُلُ ربنا بالحق)الاعراف52-53. وقال تعالى(هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آياتٌ محكمات هُنَّ أمُّ الكتاب وأُخر متشابهات فأمّا الذّين في فلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاءَ الفتنةِ وابتغاء تاويله وما يعلم تاويله إلا الله)ال عمران7. وقوله(بل كذبوا بما لم يُحيطوا بعلمهِ وَلمّا يأتِهم تأيلهُ)يونس39. والتاويل مأخوذ من الأول بمعنى الرجوع، والمراد من التاويل الشيء الذي ترجع اليه الآية، بخلاف التنزيل الّذي يعني المعنى الواضح للآية ولا يحتاج الى رجوعها الى شيء اخر.

إختلف المفسرون في معنى التاويل الوارد في النصوص القرآنية إختلافا شديدا، وفق أقوال عديدة، والمشهور منها مايلي:

أولا: قول القدماء: إذ يقولون أن التاويل والتفسير (مترادفان)، بنفس المعنى، ويلزم على هذا القول أنَّ جميع آيات القرآن لها تأويل، وهذا يتعارض مع قوله تعالى**(وما يعلم تاويله الّا الله)** الّذي يختصّ بالمتشابه.

ولهذا الإشكال ذهب جماعة من المفسرين القدماء الى تفسير المتشابه بالحروف المقطعة في أوآئل السور، لِخفاءِ معانيها على الناس، وهو ذات الإشكال الّذي ظهر في تفسير المتشابه والمحكم، وكيف فسّروا المتشابه بالحروف المقطعة، هروبا من إشكال؟: كيف يُفسّر المتشابه بانه لا يعلمه الا الله والراسخون في العلم من الانبياء والائمة(عليهم السلام)مع القران فيه تبيان لكل شيء وهدى ورحمة ...، وبمجرد ان نرجع المتشابهات الى المحكمات يتبيّن المعنى المُراد والمقصود من المتشابهات، فلا نحتاج الى تفسير المتشابهات بالحروف المقطعة في القران.

ثانيا: قول المتاخرين: ان التاويل يكون المعنى المقصود خلاف المعنى الظاهرمن اللفظ، ويلزم على هذا القول ان التاويل يختصُّ بالمتشابهات التي لا يعلم تاويلها إلّا الله، مثل الآيات التي تصف الله تعالى بالجسمية والإستواء، كما في(جاء ربك والملائكة)و(وجوه يومئذ ناظرة الى ربها ناظرة)و(الرحمن على العرش استوى)وغير ذلك. ولا يشمل الآيات المحكمات.

وهذا القول مشهور شهرة كبيرة، بحيث اصبح إطلاق لفظة(التاويل)كانها إطلاق حقيقي على المعنى المراد، وخصوصا بايات العقيدة.

ثالثا: قول المعاصرين: وأبرزهم صاحب تفسير الميزان محمد حسين الطباطبائي، حيث أشكل على قول المتأخرين، بِعدّة إشكالات:

1- ان قول المتاخرين بأنّ التاويل يختصّ بالمتشابهات، غير تامٍّ فان ظاهر بعض النصوص القرآنية مُطلقة شاملة للمحكم والمتشابه معا، كفوله تعالى(هل ينظرون الا تاويله)أي تاويل القرآن،وهو كلام مطلق شامل لهما معا.وقوله تعالى(بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولمّا ياتهم تأويله)أي تاويل القرآن،وهو لفظ مطلق شامل لهما معا.

2- ان قول المتاخرين بان التاويل وهو المعنى المخالف للمعنى الظاهر من اللفظ، ويلزم من ذلك وجود آيات لا يفهمها الناس مهما حاولوا، لكون المعنى المخالف ليس له مدلول ومعنى من لفظ الكلام، وهذا خلاف كون القرأن قد تحدّى البلغاء بالألفاظ البليغة التي فيها البيان بإيجاز ودقّة.

3- لا يوجد دليل قرآني على ان معنى التاويل - في المحكم والمتشابه - هو معنى مخالف للمعنى الظاهر من اللفظ، بمعناه (الخاص)أي كون المعنى المؤوّل مأخوذ من حاقِّ اللفظ وذات اللفظ، وليس من شيءٍ آخر.

حقيقة التأويل لدى الطباطبائي: ان آيات القرآن التي ذكرت التاويل بمعنى آخر، مثل:

1- في سورة يوسف(اذ قال يوسف لأبيه يا أبت إني رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتُهم لي ساجدين)وفي تأويل رؤياه(ورفع أبويه على العرش وخرّوا له سجدا وقال يا أبت هذا تاويل رؤياي من قبل قد جعلها ربي حقا)وهذا التاويل لم يؤخذ من ذات لفظ الآيات، وإنّما هو شيء وحقيقة أُخرى كشف عنها الله تعالى على لسان يوسف (عليه السلام).

2- ورؤيا ملك مصر(وقال الملك إني أرى سبع بقرات سمان يأكلن سبع عجاف وسبع سُنبلات خضر وأخر يابسات)وتاويل ذلك(قال تزرعون سبع سنين دأبا فما حصدتم فذروه في سنبله الا قليلا مما تاكلون ثُمَّ ياتي من بعد ذلك عام فيه يُغاث الناس وفيه يعصرون)وهو تاويل لم يؤخذ من ذات اللفظ ومدلوله، وانما هو حقيقة أخرى.

3- ورؤيا صاحبي السجن(قال احدهما إني أراني أعصر خمرا وقال الآخر إني أراني أحمل فوق رأسي خبزا ياكل الطير منه)وتأويله(أمّا أحدكُم فيسقي ربهُ خمرا وأمّا الآخر فييصلب فتاكل الطير من رأسه)وأيضا لم تؤخذ الرؤيا من ذات مدلول الآية ولا من لفظها، وإنّما هي حقيقة أخرى كشف عنها الله تعالى. وهكذا في قصة موسى والخضر.

ونستطيع القول ان عالم التأويل أشبه بعالم الغيب، يختص بالله تعالى، أو ممن إرتضاه الله تعالى وطهّره (عالم الغيب فلا يُظهرُ على غَيبه أحدا إلّا من إرتضى من رسول...)الجن26 -

27. وقوله تعالى(فلا أقسم بمواقع النجوم وإنّهُ لقسمٌ لو تعلمون عظيم إنّهُ لقُرآن كريم في كتاب مكنون لا يَمَسَّهُ إلّا المطهرون)الواقعة75-80.

ولعلَّ الغاية من التاويل تشريعا، التوجيه نحو الغيبيات والإبتعاد عن الماديات والتعلّق بالحسيات، التي ليس لها ثِمار أُخرويّة.